المبحث الثالث:
خصائص التربية الإسلامية

قول تربوي:

«لا يدري كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة إلا أنه مستتر بثياب الصبا فلو كُشف لنا عنه وهو كامن تحتها لرأيناه واقفًا في مصاف الرجال القوامين، لكن جرت سنة الله أن لا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئًا فشيئًا ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدريج».

(الشيخ/ محمد الخضر حسين - السعادة العظمى ص٩٠)

للتربيــة عمومًــا خصائص تمتــاز بها عــن غيرها تســتمدها من واقــع علاقاتهــا المختلفة بالأفــراد والمجتمع، وللتربية الإســلامية خصوصياتهــا الفريدة التي تمتــاز بها عن التربيــة بوجه عام، هذه التربية التي جاءت من عند الله ووفق منهج الله وكان مربيها الأول ســيدنا محمد ﷺ والذي قــال فيه الدكتور «ســيزك» - عميد كلية الحقــوق جامعة فيينــا - في مؤتمر عالمي عام ١٩٢٧: (إن البشــرية لتفخر بانتســاب رجل كمحمــد إليها؛ فإنه على أميته اســتطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد ألفي عام)[1].

فمن خصائص التربية عمومًا: أنها:

١ - عملية إنسانية:

فمجــال التربية هو الإنســان نفســه؛ فالمربي إنســان والمتربي إنســان والتربية هي نتاج التفاعل بينهما وبين المجتمع الإنســاني، وقد يسأل سائل: هل نطلق على المهارات التي يتعلمها الحيوان عن طريــق التعليم أو التدريب تربية؟ نقول لا؛ لأنها ليســت جزءًا من ثقافــة، وكذلك لا يســتطيع الحيوان نقلها من جيــل لآخر؛ فالتربية

(١) أضواء على التربية الإسلامية صـ٥٥ أ/ على القاضي

خُصت بالإنسان وللإنسان.

٢ - عملية اجتماعية:

الإنسان لا يستطيع أن يحيا وحيدًا منعزلًا عن مجتمعه، وكذلك لا يستطيع أن يتربى الفرد بمعزل عن الناس كافة، وإنما التربية السليمة أن يتربى الإنسان وسط مجموعة، يتفاعل بعضها مع البعض؛ فيكتسب كل منهم خبرات الآخرين ويعطيهم خبرته، ويسهم كل منهم بدور إيجابي في المجتمع الذي يعيش فيه.

٣ - عملية مستمرة:

تختلف التربية عن التعليم في كونها عملية مستمرة؛ فالتعليم ينتهي بعد فترة معينة، قد تكون المرحلة الجامعية أو الدراسات العليا، أما التربية فإنها تستمر باستمرار حياة الفرد، ولا تنتهي إلا بوفاته، باعتبارها اكتساب خبرات وثقافة وأخلاق.. الخ، والإنسان مستمر في اكتساب هذه الخبرات طالما كان على قيد الحياة.

٤ - التربية عملية نشاط:

فالتربية لا توُرّث وإنما تكتسب نتيجة تفاعل الفرد مع غيره ومع البيئة المحيطة به، ولا بد من أن ينشط الفرد لتحصيل هذه الخبرات والقيم، وكلما نشط الفرد للحصول على الخبرة كلما زاد عمق هذه الخبرة وكان أثرها أقوى على سلوكه.

٥ – التربية عملية نمو:

تهـدف التربية إلـى نمو الفرد نمـوًا متكاملًا فـي كافة جوانبه الشـخصية جسـميًا، عقليًا، روحيًـا، وجدانيًا، أخلاقيًـا، اجتماعيًا، وجماليًا، وتهدف كذلك إلى تنمية قدراته واستغلال طاقاته ليخدم نفسه ووطنه ومجتمعه.

ومن خصائص التربية الإسـلامية التي تنفرد بها وتسـتمدها من الإسلام نفسه ما يلي:

أولًا: الربانية:

والربانية لغة منسـوبة إلى الرب مع زيـادة ألف ونون، ويطلق على الإنسـان أنـه (رباني) إذا كان وثيـق الصلة باللـه عالمًا بدينه وكتابه معلمًا له.

والمقصود بالربانية أمران[1].

١) ربانية الغاية والوجهة ٢) ربانية المصدر والمنهج

فأما ربانية الغاية والوجهة فتعني أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسـن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية التربية الإسلامية.. بجانب بعض الأهداف والغايـات الأخرى، أهداف إنسـانية، أهـداف اجتماعية، أهداف علميـة، ولكن عنـد التأمل نجد هذه الأهداف فـي الحقيقة خادمة

(١) الخصائص العامة للإسلام د/ القرضاوي – ص٧ – ط٣ – مكتبة وهبة

للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى وحسن مثوبته؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ولما كانت الربانية إحدى الخصائص الرئيسة للتربية الإسلامية نجدها تحرص على غرس هذه الصفة في نفوس مريديها، فهي تعتبر الغذاء الروحي للفرد؛ فكما أن الفرد حينما يهمل الغذاء المادي يتعرض للهزال أو المرض أو الموت؛ فكذلك حين يُهمل الغذاء الروحي فإنه يتعرض إلى موت قلبه والعياذ بالله.

والبيت والمدرسة وكافة ميادين التربية الأخرى مسئولة عن تربية أبنائها وبناتها على معاني الربانية؛ فالمدرسة التي لا تغرس الإيمان في النفوس تُخرّج أجيالًا حائرة، لا تدري من أين جاءت و إلى أين تذهب، وما الهدف من مجيئها.

وأما ربانية المصدر والمنهج فالمعنى أن المنهج الذي رسمه المولى سبحانه للوصول إلى غاياته وأهدافه منهج رباني خالص؛ لأن مصدره من عند الله سبحانه وتعالى (قرآن وسنة).

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]... و إذا رُبي الأولاد على هذا المنهج فإنه يعصمهم من التناقض والتطرف، فطبيعة البشر أنهم مختلفون، يختلفون من عصر إلى عصر، ومن قطر إلى قطر، ومن زمن إلى زمن... الخ، أما منهج رب

البشـر فلا اختلاف فيه، ولا إفراط أو تفريط؛ فينشأ الجيل متوازنا وسـطيًا، وكذلك يعصمهم مـن التحيز والهـوى، ويجعلهم يتحلون دائمًـا بالحكـم العـادل المنصف؛ فمنهـج الله لا تحكمـه الأهواء والنزعات؛ لأنه منزه عن الأهواء والنزعات.

ثانيًا: الشمولية والتكامل:

الشـمول من الخصائص التي تتميز بها الشـريعة الإسلامية عن كل ما سواها من أديان وفلسفات ومذاهب:

«إنها الرسالة التي امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًـا حتـى انتظمت آفاق الأمـم، وامتدت عمقًا حتى اسـتوعبت شئون الدنيا والآخرة»[1] فهي رسالة لكل الأزمنة والأجيال؛ فمحمد ﷺ هـو خاتم النبيين، ورسـالته هي رسـالة الخلود التـي قدّر الله بقاءها إلى قيام الساعة.

وهـي رسـالة إلى العالـم أجمـع، وتخاطـب جميع الأمـم وكل الأجناس وكافة الشعوب والطبقات ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وهي رسالة تُعنى بكافة الجوانب الإنسانية، فليست رسالة لعقل الإنسـان دون روحـه، ولا لروحه دون جسـده، ولا لأفـكاره دون وجدانه... الخ.

(١) مجموعة الرسائل - الشيخ/ حسن البنا

فالإنسان – في نظرها – كيان واحد فيه الروح والعقل، الجسد، الضمير، الإرادة والوجدان...الخ.

ولذا نجد الشمولية في التربية الإسلامية؛ فهي تقدم للإنسان ما يفيده في الحياتين الدنيا والآخرة، ولقد فهم الإمام «أبو حامد الغزالي» هذه الشمولية وهذا التكامل، فإذا هو ينصح المعلم المتخصص في فرع من فروع المعرفة عدم الاستخفاف أمام الطلبة بفروع العلم الأخرى؛ حتى لا يحصر المعرفة في علمه فقط دون الباقين.

كما أننا نلحظ الشمولية في كل شيء: العقيدة، العبادات، الأخلاق؛ فلا يقر الإسلام في التربية الإسلامية العناية بالعبادات والشعائر و إهمال جانب الأخلاق والفضائل، كما لا يجوز العكس، ولا يجوز في نظر الإسلام أن نربي أبناءنا على العقيدة والعبادة والأخلاق، ونهمل ونغفل جانب الشريعة التي نظم الله بها حياة الخلق، فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: آية ٤٥].

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ونحذر دعاة التجزئة بقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ

ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابٖۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثالثًا: التوازن أو الوسطية:

ونقصد بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين؛ بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير و يطرد الطرف الآخر، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه و يطغى على مقابله و يحيف عليه[1]؛ فالله سبحانه وتعالى يشير لهذه الخصوصية بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إذن فالإنسان كائن متوازن ماديًا وروحيًا، والإنسان بالعنصر الطيني المادي قادر على إعمار الأرض والسعي فيها ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]

وبعنصره الروحي السماوي مهيأ للتحليق في أفق أعلى، متطلعًا إلى عالم أفضل وأرقى، إلى حياة خير وأبقى، والتربية الإسلامية تربية متوازنة؛ فهي لا تهتم بجانب على حساب آخر، ولكنها تعطي كلا القدر الذي يستحقه من الرعاية، وكذلك توازن بين العلم والعمل؛ فهي تعرّف الولد أركان الصلاة ولا تكتفي بذلك بل تأمره بأدائها في أوقاتها والمحافظة عليها.

(١) الخصائص العامة للإسلام . د/ القرضاوي – ص ١١٤ – ط٣

ومن مظاهر الوسطية في التربية الإسلامية:

١ – وسطية الاعتقاد[١]:

فهي وسط بين الخرافيين الذين يعتقدون بكل شيء دون دليل أو برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس فلا يستمعون لصوت الفطرة، ولا لنداء العقل، ولا لصوت المعجزة، وهي وسط بين الملاحدة الذين يقولون «لا إله» وبين متعددي الآلهة.

هذه العقيدة شعارها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

وهي وسط بين الذين يؤلهون الفرد، وبين الذين يهونون من شأنه كأنه دمية يحركها المجتمع، وبين الذين كذبوا الرسل وبين الذين رفعوهم إلى رتبة الآلهة، وبين الذين يؤمنون بالعقل وحده وبين الذين يؤمنون بالوحي والإلهام وحدهما.. الخ.

٢ – وسطية العبادة والشعائر[٢]:

فالتربية الإسلامية وسط في عباداتها وشعائرها، فلم تطلب من المرء أن ينقطع للعبادة والصلاة فحسب، بل كلفته بأداء شعائر محددة في اليوم كالصلاة، وفي السَنة كالصوم، وفي العمر كالحج؛ ليظل دائم الصلة بالله، ثم تأمره بعد ذلك بالسعي في الأرض ليعمرها، ويأكل من خيرها ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

(١) الخصائص العامة للإسلام – د/ القرضاوي – ص ١٢١ – ط٣

(٢) المصدر السابق ص١٢٣

٣ - وسطية في الأخلاق[١]:

فالتربية الإسلامية لا تفترض في الإنسان أنه ملاك - كما افترض المثاليون - لا يخطئ أبدًا، كما أنها لا تفترض فيه أنه حيوان أو شيطان - كما افترض غلاة الواقعيين - يفعل ما يشاء في سبيل شهواته - وإنما افترضت فيه أنه يحمل روحانية الملاك وغريزة الحيوان، فيه استعداد للفجور وفيه الاستعداد للتقوى، وعليه فهي تزكي الجانب الروحاني، وتحجم الجانب الحيواني بإلزامه بالأخلاق الحسنة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠].

رابعًا: الجمع بين الثبات والمرونة[٢]:

إذا نظرنا إلى الإنسان - الذي هو محور العملية التربوية - نجد فيه عناصر ثابتة باقية لا تتغير ما بقي الإنسان، وعناصر مرنة قابلة للتغير والتطور؛ فإنسان اليوم قد اتسعت مداركه وارتقت معارفه وزادت قوته، واستطاع أن يصعد إلى القمر ويصل إلى المريخ... الخ، ولكن هل تغير جوهر الإنسان اليوم عن إنسان الأمس عن إنسان ما قبل التاريخ أو ما بعده؛ فالإنسان منذ عهد آدم - عليه السلام - يأكل ويشرب وينام ويحب الخلود ويضعف عزمه أمام نزعات النفس ووساوس الشر، ثم يصحو وينتبه فيرجع ويتوب،

(١) المصدر السابق ص ١٢٤

(٢) المصدر السابق ص١٩٤

فيـه الخير وفيه الشـر، ومنه الخيّـر المؤدب ومنه الشـرير... الخ، هـذا هو شـأن الإنسـان على ظهـر هـذه الأرض، وكذلـك التربية الإسـلامية جاءت لتوافق فطرة الإنسـان فيها الثبات فيما يجب أن يخلـد و يبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير و يتطور، ففيها الثبات على الأهـداف والغايات والمرونة في الوسـائل والأسـاليب، فيها الثبـات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، وفيها الثبـات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشـئون الدنيو ية والعلمية.

خامسًـا: الواقعيـة والمثاليـة: وتعني الواقعيـة مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ووجود مشـاهد، ومراعاة واقع الحياة من حيـث هي مرحلة حافلة بالخير والشـر تنتهي بالموت، وتمهد لحياة أخرى بعد الموت توفى فيها كل نفس ما كسبت وتخلد بمـا عملت، ومراعاة واقع الإنسـان من حيث هـو مخلوق مزدوج الطبيعة؛ فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين، ففيه العنصر السماوي والعنصر الأرضي والتربية الإسلامية تربية واقعية تتعامل مع الإنسان بشقيه الطيني والروحاني، فتأخذه من بدايته، ثم تعمل على إيصاله إلى الكمال الإنساني.

ولقـد راعى المصطفـى ﷺ هذه الحقيقة مـع الصحابي حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحنظلـة وجـد حالته وهو عنـد النبي ﷺ تعلوها الشـفافية الروحانيـة، فإذا انقلب إلى أهله تغيـر الحال فيلاعبهم و يلاطفهم، فرأى هذا نوعًا من أنواع النفاق، فخرج وعلى لسانه: «نافق حنظلة»

حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقص عليه ما يحس به: فنجد النبي ﷺ المربي الأول يغرس هذه الحقيقة، ويؤسس مبدأ الواقعية في التربية الإسلامية فيقول: «إنكم لو بقيتم على الحال التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»[1] فلم يطلب منه النبي ﷺ أن يغلو في التعبد فلا يبقى له شيء لقلبه، ولا يغلو في اللهو إلى رأسه فلا يبقى شيء لربه.

وواقعية التربية الإسلامية تعني تهذيب ما هو موجود في الإنسان من طاقات وقدرات فطرية، فالتربية الإسلامية لا تنسى نقاط الضعف في بني الإنسان والكامنة داخله، ولكنها تعمل على تهذيبها؛ فالقرآن الكريم يذكر أن الإنسان هلوع جزوع ميال لحب المال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢] فاستثنى المولى سبحانه أولئك الذين تربوا على تعاليم الإسلام، ونالوا القسط الوافر من التربية الإسلامية؛ وذلك لأنها هذبت هذه النزعة عندهم، فالإسلام لا يدعو إلى تحقير المظاهر المادية، ولكنه في الوقت نفسه لا يقدمها على المبادئ ولا يجعلها محور الحياة، وفي القرآن الكريم أروع الأمثلة على الجمع بين الواقعية والمثالية في التربية الإسلامية.

فنجد المولى سبحانه وتعالى يراعي الطبيعة البشرية في رد العدوان بالعدوان فيشرع القصاص بالمثل، ولكنه مع ذلك يريد

(١) رواه مسلم

رقي الإنسان ومثاليته فيحث على العفو والصبر والمغفرة للمسيء، على أن يكون ذلك تفضلًا منه لا فرضًا عليه فيقول سبحانه:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

فالرد بالمثل على العدوان واقعية في الإنسان، أما العفو والصبر والمغفرة مثالية يرغب الإسلام في تحقيقها.

ومن مظاهر الواقعية في التربية الإسلامية مراعاة سنة التدرج؛ فنجد مثلا التدرج في تحريم الخمر تمهيدًا لإلغائه تمامًا.

وكذلك التربية الإسلامية تراعي ذلك؛ فالمربي يطالب الطفل الصغير مثلًا بالصيام إلى الظهر ثم يفطر، وبعد مدة يصوم إلى العصر.. وهكذا حتى نغرس فيه أهمية الصوم قولًا وعملًا وتطبيقًا، ونجد كذلك من مظاهر الواقعية في التربية الإسلامية النزول عن المثل الأعلى إلى الواقع الأدنى، فإذا كان إصلاح عيب في الولد يؤدي إلى عيب أكبر فإنه يكتفي منه بهذا العيب اليسير تجنبًا للأسوأ، فنجد القاعدة الشرعية تقول: «الضرر لا يزال بالضرر»، «الضرر الأدنى لا يزال بالضرر الأعلى» ومن مظاهر واقعية التربية الإسلامية كذلك مراعاة ظروف الأفراد الطارئة فنجد التيسير ورفع الحرج عن المسلم في كثير من المواقف منها المرض والسفر، الإكراه، الخطأ، النسيان، عموم البلوى، ولكل منها أحكام

فصلتها الشريعة الإسلامية السمحة.

وكذلك من مظاهر الواقعية في التربية الإسلامية عرض الحقائق بطريقة تلائم طبيعة الإنسان وإعفاؤه من التفكير في القضايا التي لا يستطيع أن يبحثها عقله المحدود ولقد حث النبي ﷺ المؤمنين بالتفكر في صفات الله ليتمثلوا منها قدر المستطاع ويتركوا التفكير في ذات الله سبحانه؛ فإن ذلك أمر لا تحتمله عقولهم.

هذه هي التربية الإسلامية المنبثقة من تعاليم الإسلام، لا تكلف الناس شططًا ولا ترهقهم عسرًا، تحاول أن ترقى بطلابها ليصعدوا ويرتفعوا، ولكنها لا تهملهم إذا هبطوا كالطبيب يريد الصحة والقوة للناس ولكنه لا يتركهم إذا مرضوا، وإنما يبادر لعلاجهم ويساعدهم حتى يشفوا وينهضوا.

إنه منهج الفطرة، منهج الله الذي يتعانق فيه الواقع والمثال.

سادسًا: العالمية:

لم يأت القرآن الكريم - المصدر الرئيس للتربية الإسلامية- بتوجيهات خاصة لقريش وحدها وللعرب فقط، وإنما جاء إلى العالم أجمع؛ ولذا فالتربية الإسلامية تربية عالمية، وأهدافها صالحة لجميع الناس في جميع الأماكن والأزمان؛ فعلى القائمين على العملية التربوية أن يقدموا لسائر المجتمعات البشرية النموذج الأمثل الذي يمكن الاقتداء به، والتربية الإسلامية لا تخشى المواجهة والمقارنة مع النظريات التربوية الوضعية؛ لأنها

من لدن رب العالمين القائل: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

سابعًا: المنهج العلمي:

تهتم التربية الإسلامية بالمنهج العلمي والاعتماد على العقل؛ فلا صراع بين الدين والعقل في إسلامنا الحنيف، والمنهج العلمي في الإسلام يقوم على ركيزتين أساسيتين:

١. إطلاق العقل ليعمل في الكون كله.

٢. فهم أن الكون محكوم بقوانين ربانية وهي السنن الكونية.

والإسلام يحارب التقليد وينعى على المقلدين ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

كما يدعو إلى الفهم والتدبر واستخدام العقل، وعلى هذا يجب أن نربي أولادنا وبناتنا أن أردنا أن نستعيد دفة الأمور ويعود إلينا - نحن المسلمين - دور القيادة في العالم، كما قال الفيلسوف الألماني «اسنالد شينجلر»: «للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة حديثة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك اليوم أقوى روحانية عالمية»[١].

وحينما تعمق التربية الإسلامية في نفوس الناس فإنها بذلك تضعهم على بداية الطريق ومعهم النبراس الذي يهتدون به.

(١) أضواء على التربية الإسلامية صـ١٦

ثامنًا: المساواة:

من خصائص التربية الإسلامية أنها ترد البشر جميعهم إلى أصل واحد - فلا عصبية ولا تفرقة من أجل لون أو جنس أو دين أو لغة - فهي رسالة إلى البشر كافة أسودهم وأبيضهم، سيدهم وخادمهم، لا فرق بينهم إلا بالتقوى، وعلى هذا يسير رواد التربية الأوائل ومن بعدهم على غرس هذه الخصوصية في نفوس الناس، دليلهم في ذلك قوله ﷺ: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى[1]) وما أحسن ما قاله المؤرخ الإنجليزي «توماس كارليك» الأستاذ بجامعة «كامبردج»: «وفي الإسلام صفة أراها أشرف الصفات وأعظمها وهي المساواة بين الناس وهذا يدل على صدق النظرة وصواب الرأي»[2].

إننا بعد سرد كل تلك الخصائص للتربية الإسلامية التي تميزها عن أي فلسفة بشرية أخرى لا نملك إلا أن نردد قول الدكتور «هوكنج» أستاذ الفلسفة بجامعة «هارفارد الأمريكية»: «إني أشعر بأني على حق حين أقرر بأن في الإسلام كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة»[3].

وبعد أن استعرضنا خصائص التربية الإسلامية لا بد لنا من معرفة أهداف هذه التربية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأخرجه الألباني في صحيحه برقم ٣١٣

(٢) المصدر السابق صـ٦٢

(٣) المصدر السابق صـ٦٩